

دور الإعلام في البلاط الفرعوني

- رؤية قرآنية -

علياء الانصاري
أديبة وكاتبة

عايشت البشرية في مختلف ادوارها انماط الحكم المتباينة، ومنها النمط الفرعوني الذي ترك آثاره - اكثر من غيره - على قسماط وجهها بكل وضوح وصدق. بل يمكن القول ان اكثر انماط الحكم شيوعاً ورسوخاً في التاريخ هو النمط الفرعوني ذو الصبغة الاستبدادية.

فلكل زمان فرعون، ولكل فرعون موسى وهارون وقيود وسلاسل ودماء وأشلاء، انها سنة الله في الأرض ولن تجد لسنة الله تحويلاً. وللحكم الفرعوني سمات، كما له اساليب يعتمدها لترسيخ حكمه وإطالة عمره خلوداً ومجداً، وهي لا تتباين تبعاً لتباين الازمنة والامكنة، فهي هوية واحدة لكيان واحد. وللطغيان جذور ضاربة في اعماق التاريخ، فله في كل الحضارات الانسانية - قديمها وحديثها - نصيب وافر من الحياة، فتكاد لا تخلو امة من وجود طاغية يستبد بها ويتحكم في مقادير امورها.

للمرء العبودية المطلقة لله وهو يعيش العبودية - ذات الوقت - للطاغية؟ فهذه العبودية الثانية تقتل تلك الأولى، ولا تسمح لها بالحياة والبقاء، فان يكون الإنسان عبداً لله، يعني ان يكون حراً، يمارس حريته في كل المجالات وعلى مختلف الاصعدة، ليكون قادراً على تلقي النداء الإلهي: ﴿اذهب إلى فرعون انه طغى﴾^(٢).

جاء في محكم الكتاب المجيد: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^(١)، فقرن بين عبادته تعالى وبين اجتناب الطاغوت، لاهمية الاجتناب الذي هو الابتعاد عن كل ما يوصل إلى الطاغوت من مقدمات ونتائج وآثار، فهذا الاجتناب هو الذي يفتح الأفاق للعبادة الخالصة لله تبارك وتعالى، فكيف يتسنى

هؤلاء، ان كنتم صادقين ﴿٦٦﴾.

وتباينت التفسيرات لكلمة (الأسماء)، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام انه سُئل عن هذه الآية فقال: (الارضين والجبال والشعاب والادوية، ثم نظر إلى بساط تحته فقال وهذا البساط مما علمه، وقيل انه سبحانه علم آدم جميع الاسماء والصناعات وعمارة الارضين والاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار وجميع ما يتعلق بعسارة الدين والدنيا. كما قيل انه علمه اسماء الاشياء كلها ما خلق وما لم يخلق بجميع اللغات. وقال البعض انه علمه ألقاب الاشياء ومعانيها وخواصها^٧).

وجاء عند البعض ان الاسماء التي علمها آدم هي احكام الدين وما يكون من الامور إلى قيام الساعة. فبواسطة هذه الاسماء (على اختلاف تفاسيرها) سيتصل الإنسان بما يحيط به ويتفاعل معه في عملية حياتية منظمة.

يعود اصل كلمة اتصال في اللغات الاوربية إلى جذور الكلمة اللاتينية (communis) التي تعني الشيء المشترك.

ويتم الاتصال بين موجودات الكون بواسطة وسائل الاعلام، فعلم الاعلام هو العلم الذي يدرس اتصال الإنسان اتصالاً واسعاً بابناء جنسه. اتصالاً وعي وإدراك وما يترتب على هذا الاتصال من أثر ورد فعل، وما يرتبط بهذا الاتصال من ظروف زمانية ومكانية. فلا يمكن تصور مجتمع بشري دونما اعلام يرافق مسيرته التاريخية ويحدد نوعية الآفاق التي تتحرك فيها خطواته.

فعندما هبط ابو البشرية آدم إلى الكوكب الترابي لتشكيل النوع الانساني ووضع بداية التقويم الوجودي لهذا المخلوق، حمل معه الاسماء التي علمه إياها البارئ تعالى ليتخذ منها وسائل اعلام يتصل بها مع بقية الموجودات لإدامة العيش وبناء الحضارات.

وكلمة فرعون في اللغة مشتقة أما من مادة «فارع»، بمعنى القتل والانتقام والغارة، أو من «فرع» بمعنى الهرج وفقدان النظم^{٣١}، فكل متجاوز خارج عن الحد وظالم يكون فرعون.

وفرعون هو المصطلح الذي اطلقه القرآن الكريم تعبيراً عن الطاغية في مختلف العصور.

والقرآن الكريم قدم الطاغية المستبد الذي عاصر النبي موسى عليه السلام، في العديد من الآيات الكريمة كنموذج للفرعونية العالمية، وذكر في وصفه إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون زمانه: ﴿ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ﴿١﴾ إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ﴿٢﴾﴾، فهامان هو وزير فرعون، الذي كان له التدبير والعمل والاجراء، أي انه السلطة التنفيذية في الجهاز الحاكم، وقارون^{٣٢} هو الذي قادته الثروة إلى الطغيان والفساد، حيث كانت كنوزة يتقل حمل مفاتيحها على الرجال الأشداء.

وهذا المثلث الطغياني يُعطي صورة واضحة عن دعائم الطغيان وركائزه، فعرش الطاغية (فرعون) تمسكه قبضتان: الأولى قوة السيف وشدة التنكيل، والثانية سطوة المال وبريق الجاه.

فبالسيف والمال يُشيد الطاغية دعائم مملكته، وخير ما يستعين به في امره هذا هو وسائل الاعلام.

الاعلام... ضرورة حضارية

في اللحظات القصيرة التي تلت خلق الإنسان، بنت السماء جسر الارتباط بينه وبين العالم الخارجي الذي يحيط حركته ويتفاعل معه، ففي اللحظة التالية لخلقه، علمه الرحمن جلّ وعلا أسس الاتصال:

﴿واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون ﴿٣﴾﴾ وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء

في زمن يتحرك فيه الإنسان بايعازات الكترونية وذبذبات كهربائية يستقبلها من وسائل الاعلام التي امست عينيه التي يطلُّ بهما على العالم، ويحدد نوعية ارتباطه واتصاله بالآخرين من خلال ما تزوده هي من معلومات وافكار.

الصرح الفرعوني

عبر القرآن الكريم عن أحد اساليب الاعلام المضلل بالصرح الفرعوني، كما جاء في الآيتين ٣٦ و ٣٧ من سورة غافر: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وَصَدُّوا عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب﴾.

تقول الحكاية التاريخية، ان فرعون بعد ان جاءه موسى عليه السلام بالبينات ورأى الآيات الكبرى، أدرك انه سيخسر المعركة، فأسرع إلى تدارك الأحداث قبل ان تغلت من قبضته، فاوعز إلى وزيره هامان ان يبني له صرحاً مرتفعاً ليصعد إليه ويطلع إلى ذلك الإله الذي جاء موسى من عنده، ثم يعود إلى شعبه ليخبره بما رأى واطلع!!!

وهذه مصيدة فرعونية لإيقاع الجماهير في حبال وهمها وخديعتها، فبناء الصرح يحتاج إلى الوقت والجهد والمال، وبذلك يُستنزف وقت الجماهير في انتظار انتهاء البناء، حيث سيساعد العامل الزمني على نسيان قضية الحق التي جاء بها موسى ﷺ والبينات، كما ان الطاقات البشرية من فكر وعضلات وإمكانيات جسدية ومالية ستُصَادِرُ جميعها في عملية استهلاكية لكل القوى، فالصرح يرتفع، فهو اخطبوط يلتهم الطاقات والثروات، يرتفع، ويرتفع، حتى تُنسى القضية.

وهذه المصيدة الاعلامية، قدّمها فرعون - بلا مقابل - إلى كل الطغاة على مرّ العصور، فالطاغية يعدُّ إلى إلهاء شعبه عبر وسائل الاعلام المختلفة بسفاسف

فتاريخ مفردة الاعلام يرافق تاريخ البشرية ويتلازم معه، «وإذا كانت كلمة الاعلام مشتقة من (اعلمه بالشيء) فهي تعني تزويد الجماهير بأكبر قدر ممكن من المعلومات، وهي أيضاً عملية تفاهم تقوم على تنظيم التفاعل بين الناس وتجاوبهم وتعاطفهم في الآراء فيما بينهم وتفتح الآفاق بينهم لتلاقح الافكار وتبادل المعلومات، وقد طورت الحضارة الحديثة هذه الظاهرة الاعلامية وجعلتها خطيرة حيث دعمتها بامكانيات عظيمة حولتها إلى قوة لا يمكن الاستغناء عنها لدى الشعوب والحكومات على حد سواء»^(٨).

ويعرّف الدكتور اسكندر الديك الاعلام بقوله: «الاعلام: هو جمع وتخزين ومعالجة ونشر الانباء والبيانات والصور والحقائق والرسائل والآراء والتعليقات المطلوبة من اجل فهم الظروف الشخصية والبيئية والقومية والدولية والتصرف تجاهها عن علم ومعرفة»^(٩)، بينما يعرّفه (اوتوجروت) بالقول: «هو التغيير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت»^(١٠).

فسيبتور وسائل العلم والتكنولوجيا، وسيطرة الإنسان على الطبيعة وما يحيط به من مدركات حسية، امسى الاعلام قوة مركزية تركز عليها سلطة الحكومات وتعتمدها رؤوس الاموال في ادارة الكون.

وقد وصف (ويلبر شرام) وسائل الاعلام بانها مضاعفات عظيمة، فالآلات في الثورة الصناعية كانت قادرة على مضاعفة الطاقة البشرية باشكال اخرى من الطاقة، ووسائل الاعلام في الثورة الاعلامية المعاصرة، قادرة على مضاعفة الوسائل البشرية الى درجة لم تصل بها من قبل، يمكن استجلاء ذلك حين تحاول العديد من الاقطار النامية اىصال المعلومات الكثيرة وبسرعة الى جمهور كبير من الناس بقدر ما يتعلّق الامر بالتنمية^(١١).

وهكذا توجّ الاعلام ملكاً في بلاط الحركة البشرية

نبذة مختصرة عن بعض الاساليب الاعلامية

تقوم وسائل الاعلام من خلال بث البرامج ذات الالوان المتباينة والمناهج المتعددة، المكررة لمفهوم معين او فكرة جديدة، بتغيير التكوين المعرفي للامة، ودفعها إلى استبداله بتكوين معرفي آخر من حيث تشعر او لا تشعر، متخذة من الزمن مطية لها لتحقيق مآربها، ولتوضيح ذلك نضرب مثالين للتعريف وليس للتحديد:

المثال الاول: المسلمون في الاعلام الغربي: «يحاول الاعلام الغربي ترسيخ الصورة التاريخية للمسلمين من خلال التأكيد على المشاهد الدموية ومظاهر العنف والاختطاف والحروب في تطرقه لشؤون المسلمين وخاصة ما يجري في الشرق الاوسط والمغرب العربي. فنرى المشاهد التلفزيونية تعرض امام الرأي العام صوراً عن مسلمين متعصبين ينادون بشعارات الموت ضد اعدائهم، يحملون بنادق وسكاكين وكأنهم متعطّشين للدماء. ويعرض مشاهد لمسلمين غاضبين يتظاهرون في الشوارع يطالبون بقتل مؤلف او صحفي او سياسي. وهذه الصور اليومية القادمة من مصر ولبنان والجزائر وفلسطين توحى للمشاهد بحالة الارتباط بين الاسلام والعنف والارهاب، والمشاهد البسيط الذي يتلقى معلوماته من التلفزيون يعتقد بان جميع المسلمين أصوليون وان كلمة أصولي (Fundamentalisme) تعني (عدواني) و(متعصب)»^(١٢).

ويقول باحث اجتماع هولندي: «يعتقد الكثيرون ان الاسلام دين صارم مقارنة بالمسيحية ففي العديد من البلدان ترى الجماعات الاسلامية تحمل لواء المعارضة ضد الانظمة المؤيدة للغرب، فقد قُتل أنور السادات من قبل مسلمين راديكاليين»، وكتب صحفي شهير في صحيفة (الفولكس كرانت) الهولندية الواسعة الانتشار في عموده اليومي: «لماذا يجب ان أتفهم المسلمين؟ هؤلاء الذي يُحطّمون السفارات، يحاربون في معارك

الامور ويشغله عن القضايا المصيرية بما هو جزئي وثانوي.

فيعد الطاغية إلى اشغال شعبه بالتurf الفكري والحضاري الذي يمتص فكر الأمة وطاقتها الخلاقة لتصب في بودقة المظاهر الخداعة والمباهج الجذابة فتكثر النوادي الليلية والملاهي، والمجلات الخلاعية ودور السينما التي تبتلع الشباب في مجونها وفسوقها، والتي من خلالها يسعى الطاغية إلى تذويب الشخصية الاصلية لابناء الشعب، واستبدالها بشخصية اخرى هجينة دخيلة على التركيبة المعرفية والاجتماعية للفرد، كما يستغل وسائل الاعلام من خلال الاصابع السحرية التي تحركها من خلف الستار إلى إشاعة التناحرات الحزبية، والكتل السياسية، واقامة الانتخابات البرلمانية، فيقضي الشعب نصف عمره في الانتماء إلى حزب ما، والنصف الآخر في التطاحن والتلاعن مع الأحزاب الاخرى، كذلك يسعى إلى التفرقة بين المذاهب الدينية، وغرس بذور الشقاق بين الصفوف، فيستهلك الإنسان المسلم عمره في الحقد والضعف والتلاعن وربما الحرب والقتال على مبدأ وضعه الطاغية واعوانه لتدمير الإسلام واهله.

أضف إلى ذلك، تقويته للعنصرية والقومية بين افراد الشعب الواحد، من كرديّ وعربيّ وعجميّ، فيشيع مثلاً روح الدعاية والطرفة بين ابناء الشعب الواحد لتكريس العنصرية والقومية، فتروج الدعايات بين العناصر العربية ضد الاكراد، وبالعكس، ويسخر قوم من قوم، او بين الاعجمي والعربي، فترى الناس سكارى في احاديث المزاح والسخرية، وهم يقوضون دعائم وحدتهم التي هي اخوف ما يخافه الطاغية على سلطانه.

كما قد يلجأ الطاغية إلى إشعال الحروب، لإشغال المواطنين بصفة مستمرة، وإشعارهم بالحاجة الدائمة إلى قائد.

الخطوات الموقفة في حياتها، امرأة متمردة على الاعراف والتقاليد، رافضة لعقيدها واصولها، متبرجة، ساعية نحو الحضارة المتطورة التي تُهيئ لها فرص الحياة المترفة البهيجة، فهي قد تكون لاعبة تنس او جمناستك، او مغنية، او ممثلة، او طبيبة ومهندسة، تحقق نجاحها العملي على حساب انسانياتها ومبادئها، فبتكرار هذا العرض بصوره الفنية المتباينة، سوف تترسخ في ذهن القتيات ان طريق النجاح هو ما سلكته هؤلاء النسوة، فان كنَّ يبيغن النجاح فعليهن سلوك هذا الدرب.

كما تسعى وسائل الاعلام الى زجها في الحياة الصاخبة البعيدة عن القيم والمبادئ، وتشجع الرذيلة والفواحش، تحت شعارات مُنقحة جذابة منها: الحرية، والمساواة، والحق المهودر للمرأة، وغير ذلك من افكار هدامة تسحق كرامة المرأة وانسانياتها، لتحولها إلى انثى وانثى فحبيب.

انثى لا هم لها سوى انوثتها وكيفية ابراز هذه الانوثة، وكيف تحيا من خلال انوثتها ولاجل انوثتها فقط، ومما جاء في احصائية حول استغلال المرأة في وسائل الاعلام والاساليب التي تدفع المرأة إلى الاعلان. المعلومات التالية:

- استخدمت صورة المرأة وصوتها في ٣٠٠ اعلان تلفزيوني من بين ٣٥٦ اعلاناً كانت موضع الدراسة.
- تكررت هذه الاعلانات ٣٤٠٩ مرات خلال تسعين يوماً فقط.

- ٤٢٪ من الاعلانات التي ظهرت فيها المرأة لم تكن تخص المرأة تحديداً، لكنها استخدمت بهدف لفت الانتباه.

- ٧٦٪ من هذه الاعلانات اعتمد على جمال المرأة وشدة جاذبيتها.

- ٥١٪ من هذه الاعلانات اعتمد على حركة جسد المرأة دون النشاط المعلن عنه.

تافهة، يحرقون الكتب ويضعون المستفجرات في الطائرات». ويطرح استاذ جامعي هولندي آرائه بلغة علمية مهذبة حول مستقبل المسلمين في هولندا فيقول: «إن المسلمين يعتبرون غير المسلمين بأنهم (كلاب كافرة)»^(١٣).

وجاء في ورقة الاستاذ فهمي هويدي التي قدّمها في ندوة العلاقات العربية الايرانية المنعقدة في قطر عام ١٩٩٥م: «بعدما تنامت سطوة الاعلام في هذا الزمن، لم يعد يهم كثيراً ما اذا كنت على صواب أم خطأ، ولكن الاهم هو ماذا يقول الاعلام عنك وان يصنّفك، ولان الاعلام اصبح يؤدي ذلك الدور الخطير في تشكيل الرأي العام، فقد أصبحت فنون التغليف الاعلامي علوماً تدرس في معاهد الصحافة، وصارت تلك الفنون اسلحة تستخدم في الصراعات السياسية حيناً وتواكب الصراعات المسلحة في أحيان اخرى وما التغليف (disinformation) الاسلحة في الاغتيال المعنوي (moral assassinaton)، إذ بمقتضاه يصبح بمقدورك ان تصفي خصمك وتجهز عليه سياسياً بفنون الاعلام وحدها.

وليست بعيدة عن الأذهان قصة الخبر الذي جرى دسّه على وسائل الاعلام في الولايات المتحدة الامريكية بعد ثلاثين دقيقة من وقوع انفجار أو كلاهوما، وكانت المعلومات التي روج لها الخبر ان اثنين من أصحاب الوجوه الشرق الأوسطية شوهدا وهما يهربان في سيارة من مكان الحادث. وهي المعلومة التي أسهمت بدور فعال في توجيه أصابع الاتهام الى العرب والمسلمين منذ اللحظات الاولى، مع ما استصعبه ذلك من تداعيات سلبية مشهورة، كان أهمها وقوع ٢٠٠ حادث اعتداء على العرب والمسلمين خلال الخمسين ساعة التي أعقبت الانفجار حسبما أعلنت مصادر المجلس العربي - الامريكي لاحقاً»^(١٤).

الثاني: المرأة والاسرة: عندما تتعامل وسائل الاعلام مع قضايا المرأة، نراها تطرح المرأة الناجحة ذات

العواصم، خصوصاً إثر طرح البومها الجديد بعنوان «دو»، وخلال عودتها مؤخراً من مدينة نيويورك، حيث قامت بتسجيل اغنية جديدة، فوجئت بالاحوال الجوية السيئة والتي اسفرت عن تأخير الرحلة وحجزها في مطار كنيدي عدة ساعات. فأخذت «سيلين» تدندن بأحدى اغانيها حتى تعرف إليها احد المسافرين. فانهال عليها المعجبون يطالبونها بالتوقيع على «أوتوجرافاتهم» والتقاط بعض الصور التذكارية. انتهى الخبر مع ارفاق صورتين ملونتين للمغنية. والمعجبين من حولها.

فما هو الاثر الذي سيتركه هذا الخبر على الاسرة العربية والاسرة المسلمة؟ وما هو اهمية هذا الخبر بالنسبة للفتاة العربية والمسلمة؟ هل هو خبر علمي؟ ام خبر سياسي؟ ام لعله حدث اجتماعي لا بد من الاطلاع عليه؟ ولاحظ استعمال بعض المفردات الغير عربية والتي لا تنتمي إلى الثقافة العربية والإسلامية كاستعمال مفردة «أوتوجرافاتهم» بدلاً من استعمال كلمة عربية مرادفة لها، وهذه الحالة تظهر كثيراً في مطبوعاتنا، حيث يتم استبدال المصطلحات والمفردات العربية والإسلامية بغيرها من الثقافات الغربية. لترسيخ فكرة ان اللغة العربية لغة ضعيفة ولا يمكن ان تغني ثقافتنا العصرية، فلا بد من استبدالها بما يليق ومفردات العصر، فمن يجيد التحدث بمفردات غربية اكثر فهو المثقف اكثر والعصري اكثر!!

وقس على ذلك كل ما يأتي في هذه المجلة وغيرها من المطبوعات والتي تستنزف دماء وافكار وطاقت الشباب في امور تافهة، في حين نفتقد هذه المطبوعات إلى ابسط الامور التي تعرف الناشئة العربية والمسلمة على بديهيات الحياة الهادفة والقضايا المصيرية التي ترتبط بواقع حياتهم، وبصيغة مستقبلهم.

فاين هي قضية فلسطين في هذه المطبوعات؟ واين هي جرائم الصهاينة في ارض الله الواسعة ليتعرف

- ١٢٥ ٪ من هذه الاعلانات استخدمت فيها الفاظ ذات ايحاءات جنسية في نصوص التعليق المصاحب للاعلان وبشكل غير لائق^(١٥).

أضف إلى ذلك ما تعتمده وسائل الاعلام في برامجها المختلفة لهدم الحياء في نفوس الناشئة من كلا الجنسين وتكريس هذا النوع من الفسوق على انه نمط حضاري متطور للحياة، فنرى الاموال الطائلة والطاقت الكثيرة تُصرف لاعداد مجلاتٍ وجرائدٍ لا هم لها سوى تصوير الممثلين والمغنيين من كلا الجنسين واطلاق التسميات الرنانة عليهم مثل نجوم الفن أو نجوم المجتمع وغيرها من الالقاب البارزة ليرسخ في ذهن الناشئة وخاصة الاناث بان هؤلاء هم صانعو المجتمع وصانعو الحياة، ولا يوجد غيرهم في المجتمع والكون شيء جدير بالاهتمام، فنرى هذه الصفحات مليئة بما لذ وطاب من الصور الفنية الملونة والأحاديث الجذابة، تحكي قصص هؤلاء ونواديرهم واخبار نجاحهم الموهوم، وتاريخ حياتهم، وآخر اعمالهم وكأن الدنيا أستقرت من كل شيء إلا هؤلاء، فيندفع الناشئة بكل ما يملكون من اموال لشراء هذه الصفحات وما يملكون من وقت في مطالعتها والاستمتاع بما جاء فيها، لتسمي هذه الايام مع مرور الوقت هي كل اهتماماتهم وانفعالاتهم، ولترسخ في اذهانهم بان النمط الذي اختاره هؤلاء للحياة هو النمط الافضل، بل هو الصيغة الحقيقية للحياة.

ولنضرب مثلاً على ما يأتي في هذه المطبوعات الاعلامية من اخبار تافهة، ومقالات سطحية، فمما جاء في احدى المجلات التي تعتبر نفسها اسرية وتطلق على نفسها عنوان (كل الاسرة) - على اساس انطلاقها من هدفيتها في بناء الاسرة المتكاملة - هذا الخبر نصاً: (تعد أشرطة المغنية «سيلين ديون» من مقاطعة كيبيك الكندية، هي الاكثر مبيعاً حالياً في اسواق الاغنية الفرنسية بعد ان حققت شعبية واسعة في كثير من

وتجرّهم إلى الجهل بهويتهم وأنفسهم أو إلى النظرة السيئة وإساءة الظن بكل شيء حتى بما يتعلق بهم وببلدهم من الثقافة والآداب والنصوص المسرحية القيمة التي نقل الخونة النفعيون الكثير منها إلى مكاتب ومتاحف الشرق والغرب»^(١٨).

فالكماشة الاعلامية تضع الناشئة امام صورتين للواقع متباينتين، الأولى صنعها الطاغية، من واقع امته المتخلف، الفقير، العايب، البعيد عن القيم والمبادئ، اللاهي وراء الشهوات والمناصب والأضواء، وصورة مثالية يصنعها الاعلام المضلل من حياة مترفة، صادقة لا كذب فيها ولا خداع ولا تزوير، ولا مخدرات، حياة التطور العلمي والترفة بمتطلبات التكنولوجيا الحديثة التي حُرمت بلاده منها، فيسعى إلى تكذيب واقعه ورفضه، واعتناق الواقع الأخر وتجسيده في حياته، فيؤمن بكل ما جاء من وراء البحار، ويكفر بكل ما بين يديه.

كما ان للاعلام دوراً فعالاً في خلق الشخصية الازدواجية للناشئة، فالناشئة ترى واقعاً متحركاً تبعته الاشعة المرئية، يتباين مع واقع مجتمعهما المسلوب الهوية والارادة، ليعود فيتباين مع ما تقرأه من تاريخ واحداث صنعها اناس آخرون، أو ما تراه في المسجد أو الواقع الديني الذي ضيقه الطاغية وختم عليه الصرح الفرعوني بالشمع الاحمر، فيحدث الانفصام في شخصيته، وهذا الطابع هو الغالب على الامم المستعبدة. ومن اساليب وسائل الاعلام الاخرى، أسلوب الصمت، حيث تعتمد وسائل الاعلام الصمت عن كثير من الأحداث والأخبار والشخصيات، أو الترويج لبعض الأحداث والشخصيات، لتمويه الحقائق على الناس وتلبس الحق بالباطل، فتدفع الرأي العام إلى حب أو بغض ما تريده الفرعونية، حيث ان للاعلام قدرة على تغيير التفكير العام للامة، وتحويل انتباهها من قضية ما إلى اخرى فعلى سبيل المثال ما حدث في شهر يوليو

عليها الناشئة ويحذروا من مكائدهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؟ واين هو التاريخ الناصع لشعوب عاشت الحرية والعزة وصاغت لنفسها ارواح الملاحم لاجل الحياة الحرة الكريمة؟

كما ان التلفاز والفيديو وما احدثته التكنولوجيا العصرية من قنوات فضائية واقراص ليزيرية، تقدم للناشئة تلك الافلام التي أنتجت لغرض استفراغ الطاقة الشابة من كل الوان الابداع، وتحويلها إلى قوة غضبية أو شهوة جنسية، تسعى بكل الوسائل والطرق لاشباع تلك القوى والشهوات، فعند استعراض الافلام التي تنتج في القسم الغربي من الكرة الارضية ليتم ترويجها وتسويقها إلى القسم الشرقي منها، نجدها ما بين جنس وحراب وخيال علمي، لا تمت إلى الواقع بشيء ولا تغرس في نفوس الناشئة غير المفاهيم الارضية السطحية التي لا تقوم سلوكاً ولا تبني شخصية، بل لا هم لها سوى الافساد في البلاد والعباد.

وجاء في دراسة اجريت في الولايات المتحدة على ١١٠ من نزلاء مؤسسة عقابية ان ٤٩٪ من هذه المجموعة اعطتهم السينما الرغبة في حمل السلاح و ١٢ - ٢١٪ منهم اعطتهم السينما الرغبة في السرقة ومقاتلة الشرطة.

كما اثبتت دراسة اخرى اجريت على ٢٥٢ فتاة منحرفة بين سن ١٤ - ١٨ سنة أن ٢٥٪ منهن مارسن العلاقات الجنسية نتيجة مشاهدتهن مشاهد جنسية مثيرة في السينما، و ٤١٪ منهن قادتهن المشاهد إلى الحفلات الصاخبة، والمسارح الليلية، و ٥٤٪ منهن هربن من المدرسة لمشاهدة الافلام، و ١٧٪ تركن المنزل لخلاف مع الاهل حول ذهابهن إلى السينما^(١٧).

يقول الإمام الخميني في هذا الصدد: «الافلام التلفزيونية سواء كانت صناعة غربية أو شرقية فانها تُحرّف جيل الشباب فتية وفتيات عن مسار حياتهم الطبيعي وعن اعمالهم وصناعاتهم ونتائجهم وعلمهم

مواطنوه عاجزين عاجزاً تاماً عن أي فعل، ومن ثم يكون السعي إلى القضاء على الطاغية ضرباً من المحال. ولا أحد يحاول ان يصنع المستحيل، ومن ثم فلا أحد يحاول ان يطيح بالطاغية، ما داموا قد أصبحوا جميعاً عاجزين عن الحركة^(٢١١).

ولو القينا نظرة سريعة على وسائل الاعلام التي يسخرها الفكر الفرعوني العالمي لوجدنا «ان التنافس المستمر والصراع العنيف بين وسائل الاعلام الامبريالية، أحرز تقلصاً مستمراً في عدد الصحف اليومية، ومؤسسات نشرها في البلدان الرأسمالية لصالح الاحتكارات الأقوى، ففي بريطانيا أنخفض عدد الصحف في الفترة ما بين ١٩٢٠ - ١٩٧٠ بنسبة ٢٥٪ وتخضع عموم الصحف البريطانية الكبرى الى سيطرة احتكارات بينها مؤسسة تومسن وأنترناسنال بابلشنگ كوربوشن، ماعدا صحيفة مورنج ستار للحزب الشيوعي البريطاني، وفي ايطاليا انخفض عدد الصحف من ١٤٠ صحيفة يومياً عام ١٩٤٦ الى ٨٧ صحيفة عام ١٩٧٢م، وفي ألمانيا يشغل أكسل شبرنكر المكانة الاولى في السيطرة على وسائل الاعلام، ودور النشر وتطبع مجلاته الدورية ١٥ مليون نسخة.

لقد رافق ظهور الاحتكارات الامبريالية في الصناعة والتجارة والبنوك في البلدان الرأسمالية، ظهور احتكارات مماثلة في النشاط الاعلامي عن طريق تملك وسائل الاعلام. وامبراطورية روى تومسن المليونير الكندي خير دليل على ذلك، فهي تسيطر على ٢٠٠ صحيفة يومية، وعلى عشرات من محطات الاذاعة والتلفاز ودور النشر ومؤسسات الطباعة في أكثر من عشرين بلداً.

أما الاحتكارات الامريكية في وسائل الاعلام، فلها نصيب كبير في المجالات الدورية، مثل مجلات الجنس والموضة والقصص البوليسية، وكذلك استديوهات انتاج الافلام السينمائية، وأمتلات محطات الاذاعة

من عام ١٩٩٣ م عندما استثارت وسائل الاعلام الغربية عواطف العالم حول الطفلة البوسنية المسلمة (إيرما) التي نُقلت الى لندن للعلاج بسبب اصابتها الخطيرة من القصف الصربي لمدينة سراييفو. لقد ظلت (إيرما) موضع رعاية وسائل الاعلام العالمي لاكثر من اسبوع واستدرت شفقة وحزن كثير من سكان الارض بسبب مأساتها، الا ان المأساة الكبرى التي صرفت وسائل الاعلام الغربي انظار الناس عنها، والتي لا تشكل قضية (إيرما) عندها شيئاً، هي مذبحه المسلمين في البوسنة امام سمع العالم وبصره وبمباركة الغرب نفسه^(١٩٩). أو تغيير مشاعرها العدائية تجاه قضية معينة إلى مشاعر ودِّ وإخاء، وبالعكس فمثلاً حينما تتحدث وسائل الاعلام الغربية بعشرات المواضيع الاعلامية المقروءة والمسموعة عن السودان الاصولي الذي ينتهك حقوق الانسان ويرعى الارهاب، تكون النتيجة ان القارئ الساذج والمستمع السطحي يغير موقفه من السودان فتصبح حكومة السودان المسلمة خطراً يهدد الامن الاقليمي، وتصبح عصابات (جون قرنق) الصليبي المتمردة اسمها (الجيش الشعبي لتحرير السودان). كما تقوم وسائل الاعلام بصياغة واقع اجتماعي او اقتصادي او سياسي للجمهور على انه واقعي وطبيعي ومعبر عن الحقيقة، فمثلاً ما صاغته وسائل الاعلام عن الواقع العسكري وقدرات الجيوش العربية قبل حرب ١٩٦٧م. ثم لما قامت الحرب لم تصمد تلك الجيوش أكثر من ستة أيام أمام جيش العدو الاسرائيلي. لقد اكتشفت الجماهير العربية ان ما قيل لها عن واقع الجيوش العربية لم يكن الا (واقعاً) غير صحيح صاغته وسائل الاعلام^(٢٠١).

وبهذه الاساليب وغيرها تكرر الفرعونية مفهوم ﴿لا أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾.

ويقول ارسطو في معرض حديثه عن الغاية التي ينشدها الطاغية: (ان الطاغية يهدف إلى ان يصبح

دور الإعلام في البلاط الفرعوني - رؤية قرآنية -

- ١٧- حول مشاكل الاسرة المسلمة في الغرب / المؤتمر السنوي الرابع برعاية المجمع الإسلامي الثقافي / دار المحجة البيضاء / بيروت / ص ٨٢.
- ١٨- مختار الأسدي / الثورة في فكر الإمام الخميني / مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني / ص ١٦٦.
- ١٩- د. محمد بن عبد الرحمن الحضيف / كيف تؤثر وسائل الاعلام.
- ٢٠- المصدر السابق.
- ٢١- د. امام عبد الفتاح / الطاغية / ص ١٤٩.
- ٢٢- الاعلام الاميرالي / ترجمة محمد حسين هيكل.
- ٢٣- محمد حسين عليوي / الاعلام الاميرالي وأثره على اعلام الدول النامية.
- ٢٤- الاعراف / ١٠٩-١١٨.
- ٢٥- المصطفوي / التحقيق في كلمات القرآن الكريم / ج ٥ / ص ٧٠.
- ٢٦- المصدر السابق / ج ٨ / ص ١٥٥.

المراجع والمصادر

- ١- الطبرسي / مجمع البيان / طبعة بيروت / عام ١٩٩٢.
- ٢- المصطفوي / التحقيق في كلمات القرآن الكريم / الطبعة الأولى / ايران.
- ٣- د. امام عبد الفتاح امام / الطاغية / المجلس الوطني للثقافة والفنون / الكويت.
- ٤- مختار الأسدي / الثورة في فكر الإمام الخميني / مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.
- ٥- حول مشاكل الاسرة المسلمة في الغرب / المؤتمر السنوي الرابع برعاية المجمع الإسلامي الثقافي / دار المحجة البيضاء / بيروت.
- ٦- طلعت همام / مائة سؤال عن الاعلام.
- ٧- د. اسكندر ائديك / دور الاتصال والاعلام في التنمية الشاملة.
- ٨- د. يوسف محي الدين ابو هلاله / الاعلام، نشأته - أسانيبه.
- ٩- جعفر عبد الرزاق / المسلمون في الاعلام الغربي.
- ١٠- د. محمد بن عبد الرحمن الحضيف / كيف تؤثر وسائل الاعلام؟
- ١١- محمد حسين هيكل / الاعلام الاميرالي.
- ١٢- محمد حسين عليوي / الاعلام الاميرالي وأثره على اعلام الدول النامية.
- ١٣- ندوة العلاقات العربية - الايرانية (الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل) / فطر عام ١٩٩٥م.
- ١٤- مجلة الطاهرة / مؤسسة الفكر الاسلامي.

* * *